

# رثاء الأمهات

(أدب عربي)

د/ عبد الله رمضان  
قسم الأدب والنقد  
كلية اللغات - جامعة المدينة العالمية  
شاه علم - ماليزيا  
arharidy@gmail.com

الدكتور شوقي ضيف من أروع مراثيه، والصنوبري "من أقدم من رثوا أمهاتهم إن لم يكن أقدمهم(٢)" فيما يرى الدكتور شوقي ضيف.

غير أن هذا الكلام ليس على إطلاقه؛ فالصنوبري ربما كان من أقدم من رثوا أمهاتهم إلا أنه لم يكن أقدمهم؛ حيث إن أبا عبد الله محمد بن أبي العتاهية له في أمه أكثر من رثاء ومن ذلك قوله:

يقول أناسٌ: قد جفا قبرَ أمهٍ وما قبرها إلا الفؤادُ الذي فجغ

لقد ضاقَ بي من عالم الله كله عشيّة أودتُ روحها كلُّ متسغ<sup>(٣)</sup>  
وله فيها أيضًا:

بإذ أنسي، فربغ دار ي من الأنس مقفر

كيف يقل قبر هو الـ قلب، أم كيف يهجر

من فؤادي دون الأما كمن أمني ستحشر<sup>(٤)</sup>

وقد توفي هذا الشاعر سنة أربع وأربعين بعد المنتين(٥).

[http://www.iraqiwriter.com/Iraqi\\_text/Iraqi\\_Text\\_issue\\_7/iraqitext\\_issue\\_7\\_1.htm](http://www.iraqiwriter.com/Iraqi_text/Iraqi_Text_issue_7/iraqitext_issue_7_1.htm)

وأعتقد أن الأمر ليس كذلك على إطلاقه؛ لأن قصائد رثاء الأمهات إن كانت نادرة فذلك فيما قبل القرن الرابع الهجري أما بعد ذلك فيوجد العديد من الشعراء الذين رثوا أمهاتهم. وأما "جلال الأم المهيب وعظم مقام الأمهات" فمن المفترض ألا يعوق الشاعر عن رثائها.

(٢) تاريخ الأدب العربي. العصر العباسي الثاني. د. شوقي ضيف. ط ١١ (دار المعارف - القاهرة - بدون تاريخ) ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٣) المذاكرة في ألقاب الشعراء - النشابي الإربلي - تحقيق: شاكر عاشور - ص ١٧٣.

(٤) السابق ص ١٧٣.

(٥) الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي - تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى (دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ج ٢ ص ١٥٠، وانظر: المنتظم في تاريخ

خلاصة— هذا الموضوع يتناول رثاء الأمهات لدى شعراء الشام في القرن الرابع وي طرح أسئلة من قبيل: لماذا لم ينتشر هذا الفن الشعري في العصور السابقة ومنها الجاهلي؟

الكلمات المفتاحية: رثاء، الأمهات، القرن، الرابع، المتنبي، أبو العلاء.

## I. المقدمة

للأم مكانة عظيمة لا يقدرها إلا الإنسان السوي، لما لها من فضل، ولما حث عليه الشرع، ومن أقل الوفاء لها البكاء عليها والحزن لفراقها، وهو ما نجده لدى شعراء الشام بالقرن الرابع الهجري.

## II. موضوع المقالة

رثاء الأمهات:

يتبدى الاتجاه الذاتي - أول ما يتبدى - في رثاء الشعراء لأمهاتهم، والأم لها مكانتها في نفس كل إنسان، ولها علاقتها الخاصة بابنها، فهي نبع الحنان الثر، ونهر الرحمة المتدفق، والإنسان السوي هو الذي يحفظ لأمه الود والحب، ولا يألو جهداً في رد بعض الجميل إليها، هذا شأن الإنسان العادي، أما الشاعر فشأنه شأن آخر؛ لأنه أوتي من رقة الإحساس وشفافية العاطفة ما لم يؤتته الآخرون، فكان عليه أن يعيش تجربة الفقد في صورة مضاعفة تتناسب مع رفته وشفافيته، غير أننا نجد الأمر مختلفاً في الواقع الإبداعي للشعراء العرب القدامى فيما قبل القرن الرابع الهجري حيث لم تصل إلينا - في حدود ما اطلعت عليه - في دواوين هؤلاء الشعراء قصائد في رثاء الأمهات، وربما كان ذلك نابعا من متوارثات اجتماعية معينة تستتف من ذكر الأم وبكائها في قصائد تنتشر وتذيع بين الناس(١). وإذا طرقتنا باب القرن الرابع فسندج مرثية الصنوبري لأمه، وهي كما يصفها

(١) يقول الدكتور عدنان الظاهر: "قد قال شعراء كثيرون قصائد رثاء في الأزواج (جرير) والأبناء (الفرزدق) وابن الرومي وأبو ذؤيب الهذلي) والآباء (كنزار قباني) لكن تبقى قصائد رثاء الأمهات نادرة. فما السبب يا ترى؟ أهو الجلال المهيب وعظم مقام الأمهات ودورهن في الحياة؟"

هذا النص من موقع: "الكاتب العراقي" وهو موقع على شبكة المعلومات الدولية: الإنترنت، مخصص للباحثين والكتاب العراقيين. وهذا هو رابطته:

---

الملوك والأمم- أبو الفرج بن الجوزي - تحقيق : محمد ومصطفى  
عبد القادر عطا - ط ١ (دار الكتب العلمية - بيروت -  
١٤١٢ هـ. ١٩٩٢ م) ج ١١ ص ٣٢٦.